

«مرشح مثالي» لفكرة التوقف عن الدفع. الإفلاس سيمكّننا من خفض الضرائب التي تخنق الفئات الشعبية في البلد، أو يمكن استعمال فائض الموازنة لتقديم خدمات اجتماعية وإنشاء مشاريع تنموية تخلق لنا شيئاً يشبه اقتصاداً حقيقياً، يؤمن على الأقل مكاناً لأبنائه ولا يلفظهم خارجاً.

وحتى إذا «وقع المقدّر»، وجري السيناريو الأسوأ الذي يهددوننا به، وانهارت المصارف، وضاعت ودائع المودعين وذهبت معها الديون العامة والخاصة على الدولة والمواطنين. إذا حصلت المصيبة وطارت الحسابات التي، كما يذكرنا محمد زبيب، تتركز نصف قيمتها في يد 0,8% من المودعين، مقابل 2,6% من الودائع هي حصة 70% من المودعين اللبنانيين، فستكون تلك أنبل وأعدل عملية لإعادة توزيع الدخل تحصل في الاقليم اللبناني منذ أيام أحيار.

#### خاتمة

هناك لازمة كثيرة ما تتكرر في لبنان، ويردّها حتى أفراد النخبة السياسية في أحاديثهم الخاصة، مفادها أنّ البلد «ميوّس منه» اقتصادياً، وأنّه لن يستقيم ويفرز اقتصاداً منتجاً مهما فعلنا لأنه «لا يملك مقومات»، أو لأنّ شعبه «غير صالح»، وغيرها من الحجج التبريرية. لا بأس إذاً من بعض الفساد ومن غياب الخطط وانعدام التنمية. والأفضل للمرء أن يجد لنفسه موقعاً قريباً، مناسباً، مريحاً، وسط هذه المنظومة الفاسدة، إذ لا أمل بالخلاص الجماعي.

هذا الصنف من المنطق التبريري لا يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة. أكثر ما يؤلم في المسألة اللبنانية هو أنّ البلد، لو أنه أدير بحكمة ونزاهة منذ انتهاء الحرب الأهلية، لكانت لديه كلّ المقومات حتى يؤسس اقتصاداً ناجحاً ومزدهراً.

يمكننا بسهولة أن نتخيل حاضراً بدلاً يجد فيه الشاب اللبناني، بعد أن ينهي تعليمه، عملاً مجزياً ومرضياً، وأن يتمكن من بناء مستقبله باطمئنان، بدلاً من أن نجد أنفسنا في مجتمع مشوّه، يطرد أبناءه ويعيش أغلب شبابه خارجاً. الفشل والعجز الاقتصادي ليسا «قدراً» للبنان، والهجرة الكثيفة ليست «تراثاً» ولا هي نتج من حب اللبناني للمغامرة والسفر، وليس من الطبيعي أن يشيخ الآباء ويموتون وحدهم، فيما أولادهم مشتتّين في أرجاء العالم. الشعب كلّ يعرف من وضعنا في هذه الحالة، ومن يريد منا أن نعتادها، هم من أفسدوا علينا ووطننا الجميل، جازاهم الله بما يستحقون.

\* كاتب عربي

بسلاسل من الديون تستنزف اقتصادها الوطني وتهتد سلمها الاجتماعي. في حالات كهذه، وجدت العديد من الحكومات أنّ لا مفرّ من إعلان الإفلاس والتوقف عن الدفع أو، أقله، مفاوضة الدائنين وإعادة النظر في آليات السداد. خلال الثمانينيات، أدركت الدولة التركية أنّ أكبر الأقطاب الرأسمالية التقليدية في تركيا (كعائلات «كوتش» و«سيباني» وغيرها) قد تخلّت عن الاستثمار الصناعي والتجاري، وتحولت عملياً إلى مصارف تسلف الدولة وتستفيد من المعائدات المضمونة، ولو على حساب كساد الاقتصاد واستنزاف الخزينة (أي كوضع لبنان تماماً في التسعينيات).

الديون كادت أيضاً أن تخنق المكسيك في الثمانينيات، والأرجنتين في أواخر التسعينيات. هذه الدول قرّرت أن تمارس إحدى آخر الصلاحيات الباقية للسيادة الوطنية في عصرنا، وأن تقول للبنوك العالمية إنها لن تضع التزاماتها المالية فوق احتياجات شعبها وسلمها الاجتماعي. بالطبع، لا شيء من هذا سيحصل في لبنان، والسبب مزدوج: من ناحية، لأنّ المصارف التي كانت تستغلّ المواطن في الأرجنتين والمكسيك وتايوان كانت أجنبية، فيما الفقير اللبناني تستغلّه المصارف الوطنية. ومن ناحية أخرى، فإنّ المصارف لا تحكم البلد فحسب، وتملك نفوذاً لا يمكن تخيله، لا يهزه تغيير الحكومات والأحلاف السياسية، بل إنّ المصارف، بمعنى من المعاني، هي التي خلقت بلدنا، وميشال شياح ورفاقه من مالكي المصارف هم - فعلياً - الآباء المؤسسون لوطننا ولنظامنا الاقتصادي.

هناك دول، كالأرجنتين وروسيا والمكسيك، تحسّن وضعها الاقتصادي بعدما شهت الإفلاس ودخلت، بعدما استراحت من عبء الديون، في مرحلة من النمو والازدهار المالي (وهناك دول أخرى، كالأكوادور، لم تكن تجربتها إيجابية). هذا، نكرر، لن يحصل في لبنان، والتهويل سيكون صاحباً بأن المصارف ستنهال، والعملة ستصير برخص ورقها، وسيختفي لبنان الذي نعرفه في البحر، إذا تجرّأنا على الاقتراب من المصارف. بالطبع، الواقع مختلف عن التهويل، ومن الممكن إدارة عملية الإفلاس بذكاء وتخطيط، قبل سنوات من حصولها، والتحكّم في توزيع الأضرار، ونقل جزء أكبر من الدين إلى مؤسسات أجنبية، ورفع ضمان الوديعة المصرفية لضمان حقوق المودعين الصغار، إلخ... في الحقيقة فإنّ لبنان، حيث الميزانية العامة تحقّق فائضاً أولياً، وحيث لا حاجة إلى الاستدانة أصلاً إلا بسبب خدمة الدين،

استخراجي) مختلفة تماماً عن المعرفة التي تحتاج إليها حتى تبني اقتصاداً منتجاً ولديه قدرة ذاتية على النمو وخلق القيمة.

#### الدين العام والدين الخاص

إن حالتنا في لبنان اليوم ليست فريدة، هناك العديد من الدول التي وجدت نفسها، في القرن العشرين وفي قرون سابقة، مكتلة

تسمح لمؤسسة كهرياء لبنان بالخروج من الخسارة، ونحن، بصراحة، لسنا إسبانيا حتى نشترى الغاز المسال (الباهظ الثمن) رفقاً بالبيئة. في هذه الحالة، كما في غيرها، يمكن قول الكثير عن أنّ الملياردير ليس بالضرورة صالحاً لإدارة اقتصاد، وأنّ خبرة الأعمال التي يحوزها الإنسان في الدول النفطية الريعانية (حيث دور الدولة في الاقتصاد توزيعي، لا



أنّ الانجاز الأساسي لفؤاد السنيورة تمثل في نجاحه بتحويل الدولة اللبنانية إلى أداة «استخراجية» فعالة (مروان طحطح)

جمع من البدايات حتى يومنا هذا، وأن كل الأعمال التي قام بها أو التي كان يبغى القيام بها، لم تكن في أي يوم من الأيام منسجمة مع الأهداف المعلنة من قبله، التي ردها علناً، وفي أكثر من مناسبة. ولعل المفارقة اليوم أننا لسنا بحاجة إلى الانتظار طويلاً كما في السابق كي نتجلى الحقيقة لتبيان الجون الشاسع بين ما يقوله وما يفعله. هذا ومن المؤكد أن الذين يتولون إدارة الشأن اللبناني، من قوى إقليمية ودولية، قد درسوا شخصية الحكيم وهم يعلمون تمام المعرفة أنّ باستطاعتهم الرهان عليه للاستمرار في مصادرة حقوق المسيحيين ومنع وصول أي مسيحي قوي إلى الحكم. وبالتالي الحؤول دون إقرار أي قانون انتخابي يؤمن عدالة وصحة التمثيل للبنانيين عموماً، والمسيحيين بصورة خاصة. ومن الملاحظ أن هذه المقولة لا تزال قائمة منذ أكثر من خمس وعشرين سنة على الأقل، وذلك بغض النظر عن الراعي الإقليمي أو الدولي. لقد أعطى القانون الأركوسي أملاً قوياً للمسيحيين، ولا سيما مسيحي الشوف وعاليه وبيروت وكل الأطراف، إلا أن هذا الأمل ما لبث أن انطفأ، والذي يزعم أولئك هو أنّ فريقاً مسيحياً كبيراً هو من أجهض هذا القانون.

\* كاتب لبناني

والرافضة لاتفاق الطائف، كان جمع يقيم مع مجموعة من مقاتليه في المجلس الحربي ما سمي يوم المقاومة، حيث أعلن جملة واحدة مفادها نحن هنا، والأصح أنا هنا، استناداً إلى مقولة خالد تعرف. وتابع الحكيم مآثره التي بدأها في عمشيت باعتدائه على جنود وضباط الجيش اللبناني، ولم تنته هذه المآثر عند بلدة القليعات، بل أكملها وبالتعاون مع

## أوليس هن الغباوة السياسية أن يقوم شخص بضرب مصالحه الانتخابية

قوات الاحتلال يقصف المناطق الشرقية التي لم تكن خاضعة لسلطته. ومن غيره يجري على نقض تعهداته عام 1989 ليصبح من أشرس المدافعين عن اتفاق الطائف. ومن ثم جرت تصفية داني شمعون وعائلته، التي أدين فيها جمع جمع ولم يثبت فيها براءته، بل استفاد من قانون العفو الذي صدر لاحقاً. يتضح لنا وبدون أدنى شك أنّ هنالك خطأ بيانياً واضحاً طبع مسيرة حياة سمير

الجميل من موقف جمع الرافض، ولم يجد له تفسيراً منطقياً، أبعد أن ينتخب قائد القوات اللبنانية رئيساً للجمهورية وتحقق كل تطلعاتها، ويرفض قائد ميداني الانصياع لأوامر القيادة وذلك بغض النظر عن الأسباب والدوافع؟ ولم يستطع الرئيس الشهيد إقناعه إلا بعدما دعاه إلى مجمع «الفور سينز» في حالات، وأقام له حفلاً تكريمياً وأهداه جواز سفر إلى الولايات المتحدة لمتابعة دورة أركان. وإلى حرب الجبل در، ومآثره فيها وعدم الإصغاء إلى نصائح الرئيس كميل شمعون، فكان ما كان من حصار دير القمر وتهجير المسيحيين عام 1983.

وكرت السبحة وكرت المآثر الماسي، محاولات انقلابية داخل القوات اللبنانية ومحاولات فرض أحادية مسيحية داخل ما كان يعرف بالمناطق الشرقية، فهدر الرئيس أمين الجميل، وذبح أنصار إيلي حبيقة وجرى الاستيلاء على كل المرافق الحيوية التابعة لحزب الكتائب والقوات، وأنشئ ما سمي الصندوق الوطني، وراح الناس يئنون تحت وطأة الضرائب والخوات المفروضة عليهم من قبل هذا الأخير. وبينما كانت جموع المسيحيين تحج يوماً بعشرات الآلاف إلى بيت الشعب في بعبداء، معلنة تأييدها لمواقف العماد عون المنادية بالحرية والسيادة والاستقلال

يعيش فيهما، ومهما تكن الظروف السياسية المحلية أو الإقليمية التي يمر بها لبنان أو المنطقة. أهدافه هي هي، لا تتبدل ولا تتغير، إنه المتميز، المارد المتحدر كما كان يجب أن يسمى نفسه، إنه هو من يجرؤ حيث لا يجرؤ الآخرون، إنه بكل بساطة الشواذ الذي يكسر القاعدة.

منذ البدايات ومنذ عملية إهدن ومقتل الزعيم والقائد الوطني طوني سليمان بك فرنجية وعائلته، وحده سمير جمع من بين كل المقاتلين والقادة العسكريين المسيحيين في حزب الكتائب، تبرع للقيام بهذه المهمة، التي أدت إلى إحدات شرح بين أطراف المجتمع المسيحي، وجعلت من جسر المدفون وحاجز البربرية تحديداً، الذي كان يتولى الإشراف عليه شخصياً، نقطة الفصل بين مسيحي الشمال ومسيحي جبل لبنان، وكان الهدف آنذاك إرساء أحادية حكم مسيحية.

وفي عام 1982، وقبيل انتخابه رئيساً للجمهورية طلب الشيخ بشير الجميل - الذي كان قائداً للقوات اللبنانية في حينه - من سمير جمع تفكيك حاجز البربرية، إذ إنه من غير المقبول أن ينتخب الجميل رئيساً للجمهورية وتبقى حواجز القوات وميليشياتها منتشرة على الأرض، وكانت المفاجأة، إذ إن الجواب كان الرفض. احتار